الفصل العاشر

وسائل التبشير في العالم الإسلامي

يمكن تقسيم الوسائل الكثيرة التي يستخدمها التبشير المسيحي في غزوه الصامت للعالم الإسلامي إلى مجموعات تخدم ثلاثة مجالات رئيسية هي: المؤثرات الفكرية – والعلاج الطبي- والشئون الاجتماعية. وفيما يلي عرض مسلسل لتلك الوسائل المستخدمة في هذه المجالات الثلاثة، مع تذكرة لابد منها وهو أن مصادر معلوماتنا عن هذه الوسائل – ومن قبلها الأهداف التي ذكرت في الفصل السابق - إنما هي وثائق التبشير وكتب المبشرين ونشراتهم.

أولا: المؤثرات الفكرية

١- تشويه صورة الإسلام:

في يناير ١٩٤٠ نشرت مجلة «العالم الإسلامي» الإنجليزية خلاصة مقال كتبه إدوارد م. حقيقة التبشير: م١٠ بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، لمجلة «الشئون الخارجية» عنوانه. «الإرساليات الأمريكية في الشرق الأدني»، جاء فيه:

«**ماذا يمكن أن يقال الآن عن أعمال التبشير الأمريكي في الشرق الأدنى بعد قرن كامل من الزمان؟** يمكننا أن نحشد إحصاءات هائلة تتعلق بملايين الدولارات وبألوف الأنفس التي ضحيت في هذا السبيل. ولكن هذه أيضا ليست هبة كافية توازي النتائج التي تحققت على أيدي الإرساليات الأمريكية والمبشرين الأمريكيين في هذا المركز المهم من الشرق..

إن الوقت لم يحن بعد للحكم على قيمة ما حققه المبشرون عموما، **هناك وجه واحد من هذا الموضوع – يجب ألا يهمل بأي حال من الأحوال هو أن الرأي العام الأمريكي- فيما يتعلق بالشرق- قد خلقه المبشرون منذ قرن كامل.**

فإذا كان الرأي العام الأمريكي قد طويت عنه بعض المعلومات، أو غذي بمعلومات خاطئة، أو دفع إلى موقف عدائي، فإن المبشرين هم الملومون في أكثر ذلك. لأن النظر إلى

التاريخ على أساس انتشار النصرانية، قد حمل هؤلاء المبشرين على أن يقدموا لنا في الولايات المتحدة صورة ناقصة مشوهة، أو ساخرة في بعض الأحيان، للمسلمين والإسلام.

وبينما كان المبشرون يرمون في تبشيرهم إلى التسامح، كانوا أحيانا ومن غير أن يشعروا يزرعون بذور سوء التفاهم.

وكذلك حينما جاء المبشرون إلى تصوير أحوال الإمبراطورية العثمانية – يوم كانت الإمبراطورية العثمانية – فإنهم عجزوا أن يشيروا إلى أن الآلام التي تحملتها الأقليات المسيحية قد تحملها أيضا المواطنون الأتراك «المسلمون».

فإذا كان الفلاح الأرمني قد تعرض لغارة كردية، فكذلك كان شأن الفلاح التركي. وإذا أرهق الفلاح البلغاري بالضرائب، فكذلك كانت حال الفلاح التركي. **وعدا ذلك فإن التركي وحده ظل إلى عام ١٩٠٩ مجبرا على الخدمة العسكرية، بينما كان المسيحي معفى منها لقاء ضريبة ضئيلة يدفعها.**

ولكن بما أن المبشر قد حذف كثيرا من الخصائص والحقائق من الصورة التي رسمها للإمبراطورية العثمانية يوم ذاك، فإن الشعب الأمريكي لا يستطيع أن يميز – من النظر إلى هذه الصورة التي وصلت إليه – بين الظالم والمظلوم.

إن الشعب الأمريكي لم يكن عالما أن المسلمين والنصارى قد تألموا – على السواء – في الحياة تحت حكم إمبراطوري فاسد.

ولقد لجأ المبشرون – كما يستطيعوا أن يجمعوا الأموال – إلى استغلال حقائق ناقصة، وكذلك أخذت تفعل «نفس الشيء» بعض جمعيات الإغاثة منذ زمن قريب. فنتج عن ذلك أن العقل الأمريكي قد حيل بينه وبين الحقيقة الواضحة وهي أن سكان الشرق الأدنى قد كانوا ضحايا كوارث واحدة، بقطع النظر عن جنسياتهم وأديانهم»[١]

---

(١) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية – بيروت ص ٢٣، ٢٤

٢- تحريف فهم القرآن:

يقول جون تاكلي: «يجب أن نستخدم كتابهم «القرآن» وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماما. **يجب أن نُرى هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد ليس صحيحا**»[١]

ويستخدم المبشرون تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه في إدخال المفاهيم المسيحية في عقول المسلمين. **فإذا ما اصطدم المسلم بتعبير مسيحي مثل قولهم «ابن الله» فإن تطور وسائل التبشير يطلب من المبشر أن يتناول ذلك التعبير تأويلا روحيا «حتى لا ينفر منه أولئك الذين لا يؤمنون هذا الإيمان، فيستطيع أن يقاربهم حينئذ بما يرون أن يدعوهم إليه»**. فالمبشرون -كما يقول تشارلز واطسون -«يجب أن يكونوا برآء كالحمام، ولكن هذا لا يمنعهم أيضا من أن يكونوا حكماء كالحيات»[٢]

٣- التعليم الإرسالي أقوى الوسائل:

قال المبشر هنري جسب: «**إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية**. ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه، وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخيرة الجراحين والأطباء. فإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض، إلى مدى علماني دنيوي. مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٤٠

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٥٢

هايدلبرج وكمبردج وهارفارد وشفيلد، لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية»[١]

وقال بنروز رئيس الجامعة الأمريكية ببيروت (٤٨-١٩٥٤): «**لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان**»[٢]

ويهتم المبشرون بالمدارس ذات القسم الداخلي وخاصة للبنات، كما يهتمون بإنشاء دور لإيواء الطالبات المغتربات، حيث يؤدي ذلك إلى انتزاعهن من بيئتهن المسلمة ووقوعهن تحت سيطرة التبشير مباشرة.

وقد سبق أن قالت المبشرة آنا ميلجان: «يوجد في صفوف كلية البنات بالقاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي، وليس ثمة طريق إلى دحض الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة»[٣]

ويركز المبشرون على الطلبة المبعوثين في البلاد المسيحية الغربية، فهم يرون أن أولئك المبعوثين «يمثلون طائفة منغلقة ومعزولة، لكنها في النهاية سوف تتشتت وتؤثر تقريبا في كل المهن.. فإذا أمكن الوصول إليهم فإنهم يستطيعون حمل الإنجيل إلى أعمق أعماق حياة بلادهم.. **إن الاجتماعات الطلابية التي ينظمها الطلبة ذاتيا في مباني الجامعة، والتي ينصح لها أو يساعدها، بطرق مختلفة، هيئة متخصصة طول الوقت، لتبدو أكثر فاعلية من إرسال القسس إليهم، أو تهيئة أماكن لضيافتهم بعيدا عن مباني الجامعة.**

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ٩ ص ٦٦

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة- المكتبة العصرية- بيروت ص ٤٦

(٣)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة- المكتبة العصرية- بيروت ص ٨٧

obeikandl.com

إن مباني الجامعة هي موطن الاقتراب الطبيعي للتجمعات البشرية، حيث يتبنى الاتحاد العالمي للطلبة المسيحيين (S.C.M) والزمالة الدولية للطلبة الإنجيلكانيين (I.V.F) هذه الفكرة.

إن واحدا من أهم القطاعات الاستراتيجية للطلاب هم أولئك الذين يقفون على عتباتنا، ذلك أن أعدادا كبيرة من كل بلاد العالم تدرس الآن في أوروبا وأمريكا الشمالية وأستراليا. وإن الانطباع الذي يأخذه معهم هؤلاء الرجال والنساء إلى أوطانهم – وكثيرون منهم سوف يتولون وظائف هامة- ليتوقف إلى حد كبير على الترحيب والحب والصداقة التي يظهرها المسيحيون الذين يقابلونهم.. **ويجب أن نتذكر جيدا أن الطالب الذي يعود ليعمل كمبشر بين شعبه، من المحتمل أن يكون أفضل بكثير من أي أجنبي آخر**»[1]

٤- الصحافة والطبع والنشر:

يدرك المبشرون خطورة الإعلام وآثاره القوية في محاربة الأفكار والمعتقدات، والترويج لأخرى يراد استبدالها بغيرها، ولذلك ركزوا على الصحافة واهتموا بأعمال الطبع والنشر. وقد اعترفوا بأنهم «**استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية. أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي آخر.**

لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية، إما مأجورة في أكثر الأحيان، أو بلا أجرة في أحوال نادرة. على أن المبشرين أنشأوا في العالم صحفا يومية وأسبوعية خاصة بهم، فهنالك «بشائر السلام» و «الشرق والغرب» في مصر..

ولقد اعتمد المبشرون مدينتين كبيرتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت.

أما القاهرة فاتخذها البروتستانت مركزا لتوزيع المنشورات في القطر المصري وفي جميع العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت، تلك المطبعة التي أصبحت أهم

---

(1) LESLIE LYALL: MISSIONARY OPPORTUNITY TODAY, INTER-VARSITY FELLOWSHIP, LONDON, 1963 ص ١٥٩، ١٦٠

وسائل التبشير في الشرق كله. أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١»[١]

٥-مقاومة الأزهر وإضعاف تأثيره:

«**يرى المبشرون أن يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على الأخص: إلى طلبة الأزهر في مصر، على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام، وأن الصابئ الأزهري – إذا اتفق ذلك- يكون عونا للمبشرين على زيادة التغلغل في العالم الإسلامي.** وعل كل فالتبشير بين الأزهريين لا يزال تجربة فقط، وإن كان المبشرون ينتظرون أن يتسع وأن يقوم في الدرجة الأولى على الجدال والوعظ.

أما الطبقة الثانية التي يحب المبشرون أن يصلوا إليها بكتبهم الدينية فهي طبقة النساء»[٢]

وقد تحدث الفصل الرابع من كتاب «وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين» الذي نشره المبشر الأمريكي فلمنج عن الأزهر ودوره، وما اقترحه المبشرون من ضرورة **إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها، وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية في الدنيا على اختلاف مذاهبها، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة.** وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية. ثم قال: إن في الإمكان مباشرة هذا العمل في دائرة صغيرة وهي أن تختص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم ليتمكن هؤلاء من القيام بخدم جليلة!! في تنصير المسلمين الآخرين.

وختم فلمنج كلامه قائلا: ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الإسلامية»[٣]

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٢١٣،٢١٤

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٢١٢

(٣)الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ٢٤

obeikandl.com

وقال جاردنر – السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين- بخصوص الأعمال التبشيرية في أفريقيا الجنوبية: «**إن من سداد الرأي منع جامعة الأزهر أن تنشر الطلبة المتخرجين فيها في جنوب أفريقيا، اتباعا لقرار مؤتمر التبشير العام، لأن الإسلام ينمو بلا انقطاع في كل أفريقيا**»(١)

٦- إذاعة الدعوات المشبوهة:

هناك كلمات تأتي بحكم أصلها اللغوي بين ألفاظ الخير، لكن الإنسان – بظلمه المعهود- أساء استخدامها وطبع عليها من سلوكه ما جعل مدلولاتها في واقع الحياة تخالف تماما ما كان من أصولها اللغوية، فانتقلت بذلك من ألفاظ الخير إلى ألفاظ الشر. ومن أمثلة ذلك كلمة «الاستعمار» التي تعني لغويا تحويل الخرب إلى عامر، لكن السلوك العدواني لكثير من الدول جعل المفهوم الواقعي لتلك الكلمة يعني:السطو على أراضي الغير بالقوة ونهبها واستعباد شعبها، وما إلى ذلك من مظالم ومفاسد. وهكذا فعل التبشير..

فهو كثيرا ما يتحدث عن التسامح وعدم التعصب والمؤاخاة؛ لكن سلوكه والخبرات المكتسبة من واقع التعامل معه، بينت أن تلك الألفاظ المحببة إلى النفس قد حولها التبشير إلى كأس العسل الذي دس فيه قطرات السم. ولا يزال التبشير يذيع دعواته المشبوهة بين المسلمين، ومنها:

الدعوة إلى التسامح المشبوه:

يقول المبشر رايد: «إن المشكلة في العمل بين المسلمين إنما هي في إيجاد الطريقة التي تساعد فعلا على الاقتراب منهم. **ثم إن ذلك الحاجز العظيم الذي يدعي عادة بالتعصب!!**

---

(١)الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ١٠٥

وهو ذلك الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره، قد بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم في داخله، وليترك المبشر خارجه. إنه جدار طالما أثبت، مع الأسف، أن تسلقه أو اختراقه مستحيل. إن رجالا من المبشرين قد عملوا سنين متوالية وفي مدينة واحدة ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقا أو صديقين»[١]

وفي بعض المناطق من بلاد العرب استطاع المبشرون كسر **ذلك** الحاجز الذي يدعونه التعصب، فكان ذلك موضع فرح وسرور جعلهم يقولون «إنا اقتطفنا ثمرات أعمالنا.. **فالأوهام تبددت وحل محلها التسامح**.. وفي كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات وافرة من الكتب والمجلات»[٢]

وفي مؤتمر ممثلي الأديان الذي عقد بجاكرتا عام ١٩٦٧ قال الدكتور محمد رشيد وزير الشئون الدينية – السابق – بأندونيسيا:

«لما بدأت دعوة الإصلاح الديني في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي صحبتها اضطرابات دينية عنيفة واندلعت بسببها في أوروبا عشرات السنين، حتى عقدت معاهدة وستفاليا سنة ١٦٤٨. هناك بدأ الناس يدعون إلى مبدأ التسامح، بسبب ما عانوه من فظائع التعصب التي عاشوها، وحتى لا يستمر النصارى يقاتل بعضهم البعض.

ثم تطور الأمر عندما بدأت هجرة الأوروبيين تتدفق على القارة الأمريكية سعيا وراء حياة أكثر رخاء وأكثر حرية. ووجدوا أنفسهم ينتمون إلى شيع وأحزاب ومذاهب متفرقة في العقيدة، مما يخشى أن تكون سببا في قيام اضطرابات أخرى، فنادوا بمبدأ التسامح.

---

(١) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية – بيروت ص ٤٧

(٢) الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة ص ٣٩

أما المجتمعات الإسلامية فلديها التعاليم الصريحة التي شرعت منذ أربعة عشر قرنا والتي تدعو المسلمين صراحة إلى التسامح واحترام الأديان الأخرى وخاصة الأديان السماوية منها وهي اليهودية والنصرانية. إن ممارسة الشعائر الدينية بالنسبة للطوائف غير الإسلامية مكفولة على الوجه الأكمل في المجتمعات الإسلامية، ضمن حدود التعايش المشترك، دون أن تسبب إثارة أو استفزاز المجتمع الإسلامي. فقد نصت سورة العنكبوت – بالآية ٤٦ – على قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت:٤٦]. **أما التسامح الذي ينادي به المسيحيون الآن فهو دعوة المسلمين إلى التزام السكوت وهم يرون إخوانهم المسلمين مستهدفين لمحاولات التنصير، وما يستخدم في سبيله من مختلف وسائل الإغراء المشروعة وغير المشروعة. وهذا أمر لا يمكن السكوت عليه.**

ولقد أفضيت بأنباء هذه المحاولات المبذولة لتنصير المسلمين إلى أستاذ جامعي أمريكي زار أندونيسيا، فأشار عليَّ قائلا: «**اعرض هذه المخازي على العالم، لأن هذه المحاولات مذمومة الآن**».

وهناك شعار آخر ينادون به وهو شعار الحقوق الأساسية للإنسان، هذا الشعار مبهم وغامض أيضا، وقد نودي به أول ما نودي عندما كانت الكنيسة تحتكر لنفسها كافة الحقوق وتفرض على أتباعها وصاية مجحفة. **كما يهدفون أيضا من وراء شعار الحقوق الأساسية للإنسان إلى منع تطبيق الشريعة الإسلامية على المسلمين**»[1]

وقال لقمان هارون عضو البرلمان الأندونيسي في جلسة ٢١ يوليه ١٩٦٧ كمذكرة تفسيرية للاستجواب الذي تقدم به مع ٢٥ عضوا بمناسبة الغارة التبشيرية التي تتعرض لها أندونيسيا وما جاء من إحصائيات وبيانات مذهلة **نشرتها مجلة «كرسيتيان ساينس مونيتور» في ١٥ أبريل ١٩٦٧، ومجلة «تايم» في ١٦ يونية ١٩٦٧:**

---

(١) غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا): أبو هلال الأندونيسي – دار الشروق – جدة ص ٤٩، ٥٠

«**إن التسامح الديني – يا سيادة الرئيس– لابد أن يكون من الطرفين معا، لا أن يقتصر التسامح على المسلمين وحدهم حتى عندما يتعرض المسلمون وأبناؤهم للتنصير.**

وقد برهن المسلمون الأندونيسيون أنفسهم على تسامحهم تجاه الأديان الأخرى.

ويمكن القول إن ازدهار الكاثوليكية والبروتستانتية مدين بتسامح المسلمين. ولكن الظاهر في هذه الأيام أن مواطنينا النصارى لا يعلمون أن يدا واحدة لا تصفق –كما يقول المثل– ومن الأدلة على ذلك ما كتبه الدكتور سيجابات «وهو مبشر نصراني» مما يكشف بوضوح أنه لا يوافق على التسامح النصراني تجاه المسلمين في أندونيسيا، فهو يرى أن المسلمين لابد أن يكونوا هدفا لإرساليات التبشير النصرانية»[١]

الدعوة إلى الحوار المشبوه:

إن الحوار وسيلة أساسية من وسائل تبادل الأفكار بين البشر منذ ظهر الإنسان على هذه الأرض، وهو وسيلة محببة إلى النفس وعلامة من علامات الجنوح إلى العقل والحكمة والبعد عن طباعة البداوة والغلظة. لكن التبشير – كعادته – أبى إلا التسلل إلى هذه الوسيلة الهامة في العلاقات الإنسانية، وخطط بدهاء الحيات –كما يقول الإنجيل[٢]– ليستخدم الحوار وسيلة للتبشير بالمسيحية ومفاهيمها بين الجماعات الإنسانية، وخاصة بين المسلمين.

ولقد تضمنت مجموعة الوثائق التي صدرت عن المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان (٦٢-١٩٦٥) تفصيلا لهذا الحوار، جاء فيها: «يجب إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار.. **رجال دين يعرفون كيف يصغون إلى الآخرين.. رجال دين في طبيعتهم أن يوقظوا الاهتمام في النفوس وأن يكونوا معلمين للإيمان «المسيحي».. رجال دين يستطيعون أن يتيحوا الفرص للعمل الإرسالي الرسولي «التبشيري» وأن يبعثوا فيه الحياة** بين غير رجال الدين بروح كاثوليكية فعلا ومن وجهة النظر العالمية..

---

(١)غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا): أبو هلال الأندونيسي – دار الشروق - جدة ص ٧٤،٧٥

(٢) يقول الإنجيل على لسان المسيح: «كونوا حكماء كالحيات، وبسطاء كالحمام – متى ١٠: ١٦»

وفوق ذلك يجب أن يعدوا «القائمين بالحوار مع غير النصارى» بطريقة موافقة لتفهيمهم الوسائل الفنية التي لابد منها حتى يستطيعوا أن يتسللوا بنشاط في الجماعات التي تتألف منها الجماعة الإنسانية وأن يبدأوا الحوار مع الآخرين..

ثم إن الكنيسة تستطيع أن تقوم بهذا الحوار من غير أن تهجر طبيعتها الخاصة بالوحي الذي لها، وهي التي بعثت «مبشرة» إلى جميع الناس..

وفيما يتعلق بالتبشير للتنصير.. فيجب إعداد غير رجال الدين إعدادا خاصا للقيام بالحوار مع الآخرين، من المؤمنين «الكاثوليك» ومن غير المؤمنين **حتى يبينوا للجميع رسالة المسيح»**[١]

إن ذلك هو الغاية من الحوار الذي تدعو إليه الكنيسة: تحين الفرص للعمل التبشيري، والتسلل بنشاط في الجماعات الإنسانية..

إن كلمات مثل: «تحين الفرص» و«التسلل»، إنما تستخدم عند الحديث عن عمليات السطو والسرقة والاحتيال، وما إلى ذلك.. ويا له من حوار..

٧- الدعوة إلى الشعوبية والقومية:

من أجل تخريب العالم الإسلامي وتقطيع أوصاله، فقد لفق المبشرون وأشياعهم لكل بلد إسلامي قومية محلية. فقد عملوا لبعث الفرعونية في مصر، والفينيقية في ساحل الشام، والآشورية في العراق، والبربرية في المغرب. **لقد أراد المبشر جسب «أن تولد فينيقية جديدة تكون فيها النصرانية أوسع انتشارا. ولقد أكد على أن المدارس التبشيرية والصحافة شبه التبشيرية والكنيسة ستتضافر كلها على تحقيق هذا الهدف»**[٢]

---

(١) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٥٨، ٢٥٩

(٢) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ١٧٤

ولما أخفقت هذه الدعوات الإقليمية الضيقة، كان البديل هو التمسح بشعار العروبة وفرع لوائها، باعتبارها انسلاخا عن الإسلام، رغم ما في ذلك من مجافاة للحقائق المعروفة. فالإسلام هو الأعم والأشمل، وهو القوة الكبرى التي تظل العروبة وتستطيع أن تحميها وتدرأ عنها الأخطار.

«لقد قال جي موليه – رئيس وزراء فرنسا السابق-: إن الحركة الإسلامية التي تتسع في أفريقيا هي التي تهدد الإمبراطورية الفرنسية في المغرب.

وقال الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانسون: إن الحرب الحاضرة – آنذاك- في الجزائر ليست حربا دينية أو جنسية أو حضارية، ولكنها حرب مجموع مظلوم يريد أن يتحرر من ربقة مجموع ظالم، **إلا أن الإسلام عنصر فعال في دفع الجزائريين إلى طلب هذا التحرر. لقد أيقن الجزائريون منذ الأيام الأولى للاحتلال أن هدف الفرنسيين كان القضاء على الإسلام، من أجل ذلك أدركوا جميعا أن عليهم أن يعتصموا بالإسلام حتى يقدروا على التحرر. والواقع أن الاحتلال الفرنسي «للجزائر» كان منذ البدء، يحمل هذا المعنى من الحرب الصليبية»**[1].

لقد انتصر شعب الجزائر لأنه جاهد باسم الإسلام، ومن قبل انتصرت شعوب باكستان وأندونيسيا لأن الإسلام كان القوة المحركة لجهادها. لكن شعوبا إسلامية أخرى انتكست في نضالها ضد الاستعمار لأنها أغفلت الإسلام وتمسحت بأشياء أخرى، هيهات أن تفعل من أجلها شيئا ذا قيمة، فمثلها ﴿ كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [الرعد:١٤].

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ١٧٨

٨- تمزيق الوحدة الإسلامية:

إن المبشرين حرب على كل تجمع إسلامي، صغر أو كبر، ولقد كانت لهم اليد النشطة في العمل على انهيار الخلافة العثمانية، بعد أن عرفوا كيف يستفيدون من حالة الفساد التي تردى إليها الحكم العثماني. فقد كانت تركيا ترتاب في حركات التبشير في إمبراطوريتها ومن ثم وقفت من المبشرين موقفا حازما، فأصبح التبشير بين المسلمين شبه مستحيل. وبعد أن فتحت الجمعية التبشيرية بضع مدارس في لبنان لأطفال الدروز حوالي عام ١٨٧٥ اضطرت للتخلي عنها أمام حزم الحكومة العثمانية.

لقد صمم المبشرون على القضاء على الخلافة العثمانية، فخططوا لذلك مبكرا، وتجمعت كل القوى المعادية للإسلام لتعمل معا من أجل تحقيق ذلك الهدف الذي تمكنت منه فعلا. ففي عام ١٩٠٠ قال رئيس إرساليات التبشير الألمانية في تقرير له عن أعمالها: «إن نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا في آسيا وأفريقيا، بل ستكون في المراكز التي يستمد الإسلام منها قوته وينتشر، سواء كان في أفريقيا أم في آسيا. **وبما أن كل الشعوب الإسلامية تولى وجهها نحو الآستانة عاصمة الخلافة، فإن كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة إذا لم نتوصل إلى قضاء لبانتنا فيها. ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية إرساليات التبشير الألمانية هو بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الإسلامي**»[١]

ولقد كان إعلان الحرية العثمانية عام ١٩٠٨، وإعلان الدستور في الإمبراطورية حدثا كبيرا، رأى فيه المبشرون فرصتهم السانحة لنجاح حركة التبشير. قال جسب: «إن القضية التي تواجهنا بطبيعة الحال هي: **ماذا يكون من أمر هذا الانقلاب العظيم على دين**

(١) الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص١٠٠

الإمبراطورية؟.. إن هذا سيساعد على طبع الكتب البروتستانتية، وسيصبح المرء حرا في أن يغير دينه»[١]

٩- إثارة الفتن الداخلية:

يقول الكاتب المسيحي أنيس صايغ في كتابه «لبنان الطائفي»:

«كانت فرنسا تعتبر نفسها حامية المسيحيين في الشرق وخاصة الموارنة في لبنان.. **ودعمت فرنسا هذه العلاقة السياسية المستترة بثوب ديني يتعهد العلاقات التجارية والإرساليات التبشيرية بين لبنان وفرنسا.** فقد ضاعفت فرنسا عنايتها بأمور التجارة وأرسلت القناصل وأسست المكاتب والمراكز الثابتة لتسهيل أمورها. وكانت فرنسا منذ عام ١٥٢٠ قد حاولت ضم لبنان إليها بالقوة للحصول على ثروته وكنوزه، حينما أرسلت أسطولا يتألف من خمس عشرة سفينة إلى سواحل لبنان، إلا أن مسلمي ودروز السواحل هاجموا الجنود الفرنسيين وطردوهم..

أما التبشير فكان الميدان الأوسع لإنماء العلاقات الطائفية.. وبدأت الإرساليات تفد إلى لبنان منذ القرن الثالث عشر.. ورعى ملك فرنسا بنفسه شئون التبشير في ذلك القرن واهتم ببناء الكنائس. وبدأت فرنسا تستقبل رجال الدين اللبنانيين وتعلمهم في مدارسها الدينية على حسابها. وواصلت فرنسا رعايتها للإرساليات في الشرق بالرغم من اضطهادها لها في فرنسا نفسها.

وكان اهتمام فرنسا وتدخلها يزداد كلما لمست ازديادا في اهتمام بريطانيا في الشرق. فقد كان لبريطانيا هي الأخرى مطامعها ومصالحها في هذا الجزء من العالم. ولما لم يكن لبريطانيا طائفة تشترك معها في المذهب «آنذاك» اضطرت بادئ الأمر إلى الاعتماد على التجارة والتدخلات الرسمية والخفية في بلاط الخليفة العثماني.. ثم ازداد الاهتمام الإنجليزي بسورية

---

(١) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٥٢

في القرن الثامن عشر، عندما أصبحت الهند وشرقي آسيا محورين رئيسيين للثروة البريطانية الاستعمارية.. وكانت بريطانيا قد سبقت هذه الدول في إرسال دعاتها إلى لبنان لتحريض الشعب ضد إبراهيم باشا والأمير بشير **فقدم إلى غزير، في كسروان، منذ ١٨٣٩، كاهن أيرلندي الأصل اسمه وود، وادعى أنه جاء ليتعلم العربية هناك. لكنه كان إذ يتعلم العربية يلقي بذور الشقاق بين الأهالي. ووعد وود البطريرك حبيش بمساعدة بريطانيا لإعلان لبنان إمارة مارونية، مقابل مساعدة الموارنة لها. وفي الوقت نفسه أكد وود للدروز صداقة بريطانيا لهم وعطفها عليهم.** ومثل ودد سعى كل من تشرشل واونفرا والليدي استنهوب وغيرهم من البريطانيين الذين أقاموا في لبنان، تحت ستار توزيع الهدايا ومصادقة الشعب، **إلى إثارة العصبية لفتح المجال أمام بريطانيا لكي تتدخل**.. وكذلك انتشر عمال فرنسا في البلاد وتجولوا بين القرى المارونية، طالبين إلى السكان رفع الأعلام الفرنسية لنيل حظوة الجيوش الحليفة (التي جاءت لمحاربة إبراهيم باشا)»[١]

إن سياسة الاستعمار تقوم دائما على قاعدة: «فرق.. تسد». وأيسر وسيلة للفرقة هي إثارة الفتن الدينية عن طريق عملائه من المبشرين والجواسيس. وما أن جاء عام ١٨٦٠ حتى نشبت بين الموارنة الذين تظلهم فرنسا، والدروز الذين تساعدهم بريطانيا، فتنة غسلت لبنان بالدماء.

وقد طرب المبشرون لهذه الفتنة، إذ يقول المبشر الأمريكي هنري جسب: «**لقد اضطربت لها أوروبا وأمريكا، وأصبح لبنان بها معروفا في العالم الغربي، فأمكن أن تجمع الإعانات باسمه، والتبشير فيه**»[٢]

---

(١) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة- المكتبة العصرية- بيروت ص ١٥٣-١٥٤

(٢) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ١٤٢

obeikandl.com

١٠- بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها:

يحرص التبشير على التأثير على عقلية شعوب العالم الثالث، والشرقيين بوجه خاص، الذين ينظر إليهم المبشرون نظرة تكبر واستعلاء. ومن وسائلهم لتحقيق هذا الهدف حرصهم الدائم على أن تكون «**كنائس الإرساليات ومدارسها وأنديتها شاهقة غريبة المنظر، حتى تؤثر في عقول الزائرين وفي عواطفهم وخيالاتهم.. فإن ذلك يقرب غير النصارى إلى النصرانية**»(١)

وفي أندونيسيا قامت «كنائس ومعاهد وجامعات ودور أيتام وملاجئ ومستشفيات ومستوصفات «كلها مسيحية» في مختلف أنحاء العاصمة ومدن الأقاليم وعواصمها، حتى في المناطق التي عرفت بنقائها الإسلامي من أتباع الأديان الأخرى. **ومباني هذه المؤسسات تعتبر نماذج فخمة لفن المعمار الحديث، ومواقعها في المدن والأقاليم توحي وكأن أندونيسيا بلد نصراني..**

وفي بعض الأحيان يتم بناء كنائس حتى في الأماكن التي لا يعيش فيها أي مسيحي، ويتم استيراد المسيحيين إليها من الخارج عند إقامة القداس الديني.. وهم يشترون الأرض بأسعار مرتفعة «كي يجبروا المسلم على بيعها» ففي قطعة أرض لها موقع استراتيجي لا تزيد قيمتها عن مائتين وخمسين ألف روبية، دفع فيها الكاثوليك ٢ مليون روبية وبنوا عليها كنيسة»(٢)

ثانيا: العلاج الطبي

إن العلاج الطبي يعتبر واحدا من أخطر وسائل التبشير، ونظرا لأهميته وخطورته فقد أفردت له موضوعا مستقلا، حتى يمكن معرفة نظرة المبشرين إليه، وأساليبهم في استخدامه.

---

(١) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٠٨

(٢) غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا): أبو هلال الأندونيسي – دار الشروق- جدة ص ٢٨

الطب وخطورته في التبشير:

يقول المبشر موريسون: «**نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات: أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة المسيحية الحية**»(١)

وتقول المبشرة إيرا هاريس وهي تنصح الطبيب الذاهب في مهمة تبشيرية: «**يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرز لهم بالإنجيل.** إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق.

ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجبك التطبيب فقط، لا التبشير. فلا تسمع منه»(٢)

وتحرص مؤتمرات التبشير على أن تكون توصياتها وقرارتها مؤكدة لخطورة استخدام العلاج الطبي في التبشير، فتقول: «يجب الإكثار من الإرساليات الطبية لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمسلمين الآخرين.

ويجب على طبيب إرساليات التبشير ألا ينسى ولو للحظة واحدة، أنه مبشر قبل كل شيء، ثم هو طبيب بعد ذلك.

إن المرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة إلى مستشفيات المبشرين.. وعندما يرحل الأطباء جائبين البلاد، ينثرون في النفوس بذورا يمكن للمبشرين وبائعي الكتب أن يحصدوها بعد ذلك وينمو أغراسها.

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ٥٩

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ٦٢

obeikandi.com

ويتقرب المبشرون إلى المسلمين بالمدارس والإرساليات الطبية، وهذه الإرساليات الطبية مثل الشوك في أجسام زعماء المسلمين الذين يسلون أنفسهم قائلين إن الله أرسل هؤلاء الأطباء ليخدمونا!

وإن النساء المبشرات اللاتي يتعاطين الطب يلاقين مزيد الحفاوة، لأن المسلمين لا يهتمون بأعمال النساء المبشرات، ولا يضمرون لهن سوءا»[١]

من أجل ذلك لا يرحب المبشرون بإنشاء مستشفيات وطنية في مناطق عملهم، لأن ذلك يمنعهم من اقتناص الصيد الذي جاءوا من أجله.

يقول المبشر الطبيب بول هاريسون:«إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى.. لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى»[٢]

وهكذا تنكشف أمام الناس الفضائح التي انطوت عليها نفوس المبشرين.

أساليب التبشير الطبي:

في مستشفيات المدن: «يذكر الإنجيل للمرضى بأسلوب بسيط لا يدعو إلى التطرف في المناقشة»[٣]

وفي الأدغال والفيافي «يعلنون عن مجيء الطبيب قبل أن يصل بوقت طويل. فيأتي الناس من كل صوب يحملون مرضاهم، وينتظر الجميع قدوم الطبيب. في هذه الأثناء يقوم فيهم المبشرون».

---

(١)الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ٢٥، ٤٢، ٧٦

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٥٩

(٣)الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ٢٦

obeikandi.com

وفي جميع الأحوال فإنهم «لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح – أو قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم»[١]

وتذهب الطبيبات المبشرات إلى البيوت والقرى للاتصال مباشرة بالنساء، واستخدام نفوذ المرأة في الوصول إلى أهدافهم، حيث إن المريض في تلك الحالة يكون وسيلة لجمع عدد كبير من المسلمين حوله.

وهكذا حول المبشرون الطب – وهو واحدة من أكرم المهن الإنسانية- إلى وسيلة خداع، وأداة رق، لا تأسر البدن وإنما تسترق الروح، فتفتن فقراء المسلمين في دينهم. بعد أن وقعوا فريسة في أيدي «ذئاب في جلود نعاج».

ثالثا: الشئون الاجتماعية

١- الأعمال الاجتماعية ستار للتبشير:

يقول المبشر صموئيل زويمر: « إن أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مائة سنة، كانت لاهوتيه دينية محضة، **أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية.**

وكان ينظر في سابق الأيام إلى المبشرين نظر قوم يشنون حربا صليبية ترمي إلى التنصير فقط؛ **فتحولت الأفكار وصارت الأعمال التبشيرية تشف عن فكرة الإصلاح الاجتماعي وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية..**

وإن الخطة الفاسدة الخطرة التي تقضي ببث مبادئ المدنية مباشرة ثم نشر المسيحية ثانيا، عقيمة لا فائدة ترجى منها: لأن إدخال الحضارة والمدنية قبل إدخال المسيحية، لا تحمد مغبته، بل تنجم عنه مساوئ كثيرة تفوق المساوئ التي كانت قبلا»[١]

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ٦٢، ٦٤

obeikandl.com

ويقول المبشرون في مؤتمراتهم التي تعقد من أجل مراجعة موقف التبشير والعمل من أجل إنجاحه بين المسلمين: «إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر، فعلينا أن نقاوم الإسلام دينيا بالأسلحة الروحية. **فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشر للإنجيل ويساعده ويتمه.** فلنبدأ بالصلات اليومية، تلك التي تتصل بالطفل وبالمرأة، ثم نتوسع في تلك الصلات حتى تبلغ المبادئ الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم. فأمام الكنيسة اليوم مناسبات ممتازة تتيح (للمبشر المسيحي) أن يتصل برجال ونساء في البيئة (الإسلامية) الراقية لم يكن بإمكانه من قبل أن يتصل بهم..

من أجل ذلك نحن ننصح بالسير في الأعمال الاجتماعية على الأسس التالية:

إيجاد بيوت للرجال والنساء وخصوصا الطلبة منهم ومنهن – إيجاد أندية الاعتناء بالتعليم الرياضي وأعمال الترفية- حشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال..

وعلى المبشرين أن يتعرفوا على أحوال المسلمين الاجتماعية والاقتصادية حولهم، ثم يسعوا إلى الإصلاح سعيا إلى التأثير على الرأي العام.

ومما يجب أن يهتم به المبشرون: إصلاح الأحداث – الحيلولة دون الزواج المبكر- الحيلولة دون تشغيل الأطفال- محاولة إصلاح الأحوال العامة فيما يتعلق بساعات العمل والأجور والأمور الصحية – الرفق بالحيوان»[٢]

وقد اضطرت حركة مقاومة التبشير التي انتهجها الشبان المتعلمون المسلمون في مصر – في أوائل هذا القرن- إلى أن يعمل المبشرون من أجل « إعادة ثقة الشباب المسلم فيهم، **فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات في موضوعات اجتماعية وخلقية وتاريخية،**

---

(١)الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ١٠٣،١٠٤

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ١٩١،١٩٢

obeikandi.com

لا يستطردون فيها إلى مباحث الدين، رغبة في جلب قلوب المسلمين إليهم. وأنشأوا بعد ذلك في القاهرة مجلة أسبوعية اسمها: الشرق والغرب، افتتحوا فيها بابا غير ديني، يبحثون فيه الشئون الاجتماعية والتاريخية، وأسسوا مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة. والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم أثناء البيع «وبعد ثلاث سنوات» تسنى للمبشرين أن يتوصلوا إلى النتائج الآتية:

الأولى: أنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم.

الثانية: أنهم حصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم.

الثالثة: أن المبشرين تحققوا أنه بتظاهرهم في التودد إلى المسلمين وميلهم إلى ما تطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسي والاجتماعي والنشأة القومية يمكنهم أن يدخلوا إليهم»[١]

وتحت ستار العمل الاجتماعي، يقوم المبشرون بمشاريع تحمل صفة تنمية البيئة صناعيا وإنعاش القرى اجتماعيا، وفيها «**يجري التبشير في المزارع، حيث يعيش المبشرون مع الفلاحين عيشة فلاحة وزراعة من غير أن يتظاهروا بأنهم مبشرون.. كذلك يخالط المبشرون العمال ويعايشوهم حتى يسيطروا على الأوساط الصناعية بروح نصرانية.** و«يحرص» المبشرون على أن يؤثروا في العمال غير النصارى بسلوكهم الشخصي فيمثلوا لهم بأقوالهم وأعمالهم أن التقدم مسيحي، وأن الاختراعات والاكتشافات مسيحية، وأن الطرق الحديثة في الصناعة مسيحية أيضا»[٢]

ولما كانت أندونيسيا تقوم بتنفيذ مشروع «التهجير الداخلي» الذي يعتبر واحدا من برامج الإنماء القومي، والذي يعني نقل السكان من جاوا المكتظة بالسكان إلى مناطق أخرى

(١)الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ٢٢،٢٣

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٢١٥،٢١٦

خارجها تتميز بقلة الأيدي العاملة ووفرة الخصوبة- فقد استفادت إرساليات التبشير من المشاركة في هذا المشروع فائدة كبيرة، وقد شجع مجلس الكنائس العالمي في مؤتمره الذي عقد بمدينة أوبسالا بالسويد عام ١٩٦٩ على توظيف أموال الكنائس الأوروبية والأمريكية في مشروعات البلاد النامية.

وتقوم هيئات التبشير بانتداب رجالها للانخراط وسط المهجرين بوصفهم «مرشدين اجتماعيين» للأفواج المهاجرة، **فيندمج هؤلاء المرشدون «مع المهجرين في مستوطناتهم الجديدة اندماجا يتيح لهم بكل سهولة ممارسة نشاطهم الحقيقي بدون معقب أو رقيب أو منافس.** وأنى للمسلمين أن يجاروا بل أن ينافسوا في هذا العمل الذي يتطلب الكثير من المال، خاصة وأن كثيرا من المهجرين يرحلون إلى مستوطناتهم بالطائرة التي تستأجر خصيصا لهذا الغرض..

وقد وصلت تقارير عن ارتداد عدة أسر كانت مسلمة أول ما استوطنت مهاجرها في مالوكو وسيرام وكاليمنتان، ثم تنصرت أخيرا»[1]

٢- استغلال حالات الفقر والحاجة:

إذا كان الاستعمار القديم قد تمثل وجوده في احتلال عسكري للبلاد المستعمرة، فإن الاستعمار الجديد يتمثل حاليا في خلق التبعية الاقتصادية والغزو الفكري والربط عن طريق الأحلاف، وهكذا طور الاستعمار شكله.

وكذلك التبشير – بعد أن طور نفسه على شاكلة الاستعمار القديم- إذا به يوجد نوعا من العبودية والرق البشرى، ولكن في ثوب جديد. لقد كان الرق في صورته التقليدية القديمة يعني التجارة في الآدمى واعتباره سلعة تباع وتشترى وتمتلك، أما الرق الجديد الذي استحدثه التبشير، فهو استعباد لروح الإنسان وفكره، وهو أشر أنواع الرق على الإطلاق.

---

(١) غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا): أبو هلال الأندونيسي – دار الشروق- جدة ص ٩٣، ٩٤

مثال ذلك ما تفعله البعثات التبشيرية في أفريقيا، إذ تستغل حالة البؤس التي تعيشها الأسر الفقيرة المسلمة، فتوقع معها عقودا – كما حدث في السنغال- **تقدم «بموجبها تلك البعثات التبشيرية إلى الأسر السنغالية مساعدات عينية من أرز مثلا في كل شهر، على أن يكون لها الحق في اختيار طفل من أطفال الأسرة تربيه على حسابها.**

ويكون في العقد مادة تنص على أن الأسرة مجبرة على رد ثمن المساعدات وعلى دفع نفقات ابنها ونفقات تعليمه، إذا هي خالفت شروط العقد «بطلب استرداد ابنها مثلا».

وتختار البعثة التبشيرية من أطفال تلك الأسرة صبيا دون الخامسة من العمر ثم ترسله إلى مدرسة. وينقطع الصبي عن أهله وينشأ تنشئة مسيحية ثم يرسل إلى فرنسا لإتمام تعليمه العالي. بعدئذ يعاد إلى السنغال ليستخدم في الأغراض التي توافق هوى فرنسا»[١]

ويحرص المبشرون على أنه بجانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية، فيجب أن تقوم مدرسة صغيرة للفقراء مجانية، لا لتعليمهم في الدرجة الأولى، بل لحفظ المظهر التبشيري باديا للعيان. إن الفقراء أكثر انقيادا لقبول هذا المظهر من أندادهم من أبناء الأغنياء»[٢]

ولقد حدث في أعقاب الانقلاب الشيوعي الفاشل في أندونيسيا عام ١٩٦٥، أن ألقى القبض على عشرات الألوف ممن ثبتت علاقاتهم بالانقلاب أو اشتبهوا بالمشاركة فيه، وأودعوا المعتقلات رهن التحقيق. «ولقد سمحت الحكومة للهيئات الدينية أن تقدم خدماتها الإرشادية إلى المعتقلين رجاء إمكان إصلاحهم وإعادتهم إلى حظيرة الإيمان والعقيدة. فهرع المبشرون من مختلف الطوائف والنحل يباشرون نشاطهم مع هؤلاء..

---

(١) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٣

(٢) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٠٩

وكان المبشرون يبدون لهم استعدادهم لإعالة ذويهم وإعاشة أسرهم، شرط أن يوقعوا على صك الاعتراف بانضمامهم إلى الكنيسة التي يبشرون بها.

وهؤلاء البؤساء يعرفون جيدا تردي الأوضاع الاقتصادية آنذاك، وماذا يعني ذلك بالنسبة لذويهم. لذلك سارعوا في الاستعداد للتوقيع على الاعتراف؛ واثقين من أن في عملهم ذاك سلامة أسرهم من غوائل الجوع والمسغبة»[١]

٣- استمالة المسلمين والتحكك بهم:

يقول القس هاريك: إنه اقتنع بأن لا فائدة ترجى لطريقة المناظرة والجدل مع المسلمين «ويجب على المبشر أن يظهر للمسلم أن النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستورا سياسيا، بل هي الحياة كلها، وأنها تحب العدل والطهر وتمقت الظلم والباطل: نفتح للمسلم مدارسنا، ونتلقاه في مستشفياتنا، ونعرض عليه محاسن لغتنا، ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر وتعلق بأهداب الأمل. إذ المسلم هو الذي امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل. **بهذه الطريقة يمكن للمبشر أن يدخل إلى قلوب المسلمين.**»[٢]

ومن الوسائل التي يراها المبشرون ناجحة في استمالة المسلمين العوام: «العزف بالموسيقى.. وعرض مناظر الفانوس السحري عليهم.. وأن يتعلم المبشرون لهجاتهم العامية واصطلاحاتها نظريا وعمليا، وأن يدرسوا القرآن ليقفوا على ما يحتويه، **وأن يخاطبوا العوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم، ويجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة وبفصاحة، وأن يخطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين، وأن لا يتخلل خطابه كلمات أجنبية عنهم، وأن يبذل عنايته في اختيار الموضوعات..**

---

(١) غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا): أبو هلال الأندونيسي – دار الشروق- جدة ص ١١٩

(٢) الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة: ص ٢٨، ٢٩

ومن الضروري أن يكون خبيرا بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية»[١]

٤.التركيز على المرأة المسلمة:

يدرك المبشرون خطورة أثر المرأة المسلمة – كأم حاليا أو مستقبلا- في الأسرة، ولذلك يقولون: «بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها – ذكورا وإناثا- حتى سن العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، وبما **أن النساء هن العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتنصير البلاد الإسلامية.**»[٢]

وقد بلغ الهوس الديني بالعاملين في مجال التبشير أن صاحت المبشرات في مؤتمر القاهرة التبشيري قائلات: «لا سبيل إلا بجلب النساء للمسيح. **إن عدد النساء المسلمات عظيم جدا..** فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن. نحن لا نقترح إيجاد منظمات جديدة، ولكنا نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل، واضعة نصب عينيها **هدفا جديدا هو الوصول إلى نساء العالم المسلمات كلهن في هذا الجيل**»[٣]

وقد لخص مؤتمر قسطنطينة – بالجزائر- طرق التبشير بين النساء، فقال:

«إن الحاجة الملحة المستعجلة إنما هي إنشاء بيت أو بيوت للنساء المطلقات وللأرامل الصغار. ويجب ألا تكون هذه البيوت مؤسسات كبيرة، بل أماكن يخيم عليها الجو العائلي، ثم

---

(١)الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ١٠ ص ٢٢

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٠٣

(٣)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٠٤

تفرق النساء فيها حسب أحوالهن وحاجاتهن. وكذلك مكث هؤلاء النسوة في تلك البيوت يجب أن يطول أو يقصر حسب المقتضيات الشخصية لكل واحدة منهن. ثم إن كل فتاة يجب أن تعلم من الصناعات المحلية ما يمكنها من العيش به بعد أن تغادر تلك البيوت..

وأخيرا نرى أن أمثال هؤلاء النسوة يكن في أثناء مكثهن في هذه البيوت تحت تأثير الإنجيل، ثم إننا نختار منهن أولئك اللواتي يرجى أن يمرن أكثر من سواهن ليكن بدورهن مبشرات بين قومهن»[١]

٥- التقاط أطفال المسلمين بمختلف السبل:

كتب ألمر دوجلاس مقالا عنوانه: كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر، «ذكر فيه أن ملاجئ قد أنشئت في عدد من مناطق الجزائر في شمال أفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحيانا. ثم قال: إن هذه السبيل لا تجعل الأطفال نصارى، لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم»[٢]

وقد مارس المبشرون نظام تبني الأطفال البائسين مثل «نظام تبني فوستر»، وفيه يتم التنفيذ «باختيار الأطفال البائسين، فيعرض على ذويهم السماح بتبنيهم من قبل محسنين في أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا. ولا يعني هذا التبني إلا مجرد وجود من يكفل لأولئك الأطفال مهمة الإنفاق على أمور تعليمهم ومعاشهم مع بقائهم وسط أسرهم وأهليهم. وكل ما هناك شخص يمثل الآباء المتبنين بتعهد أبناءهم ويتصل بهم ويقدم لهم نفقاتهم ويتعهد أحوالهم. وسرعان ما تتبدل حياة هؤلاء الأطفال من الفاقة والخصاصة إلى السعة والبسطة في العيش. وبتغير سلوكهم وثيابهم مما قد يثير لدى أندادهم من الأطفال ما يجعلهم يتلمظون لهفة على الحظوة بمثل ذلك.

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٠٥

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة – المكتبة العصرية- بيروت ص ١٩٤

obeikandl.com

ولكن هذا الأسلوب الذي يركز على أطفال المسلمين البائسين في جاوا «بأندونيسيا» لم يتحقق له النجاح المأمول.. لكن البرنامج مستمر لما يتميز به القوم «المبشرون» من إصرار وصمود.

ولكن هناك أسلوبا آخر أشد خطرا، ويحمل شعار: «أنقذوا الأطفال» فهو أسلوب بريء المظهر، بارز التجرد لعمل البر والإحسان.»[١] وهو يغدق على الموظفين الذين يستخدمهم من المسلمين للعمل به أجورا عالية تجعلهم ينزلقون في خدمة التبشير وقد أعمتهم الماديات عن حقيقة أعمالهم.

٦- استدراج المسلمين إلى جمعية الشبان المسيحيين:

يقول ولبرت سميث في مقال بعنوان «جمعية الشبان المسيحيين في الشرق الأدنى»:

«إن جمعية الشبان المسيحيين قد جاءت إلى الشرق الأدنى لتعاون المؤسسات المسيحية. أما هدفها الرئيسي فهو تنشئة الشبان على أسس مسيحية. ولفروع هذه الجمعية منهاج دائم ولها اجتماعات تعرض فيها الدعوة بلا استحياء ولا تحوير. وهناك أيضا سلسلة من الاجتماعات التبشيرية»[٢]

ويقول كورنيليوس باتون في كتابه «عمل الإرساليات»: «إن تقسيم العمل بين العاملين المسيحيين (في حقل التبشير) قد اقتضى بناء على الترتيب الحكيم، **أن يعهد إلى جمعية الشبان المسيحيين بالعمل في المدن،وخصوصا بين الطلاب والطبقات المثقفة في المدن..** إن هذه الجمعية تستطيع بواسطة نشاطها الجانبي في الحياة الاجتماعية والرياضية، أن تجتذب رجالا ليس بالإمكان أن يتقبلوا النصرانية بطريقة شخصية»[٣]

---

(١)غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا): أبو هلال الأندونيسي – دار الشروق- جدة ص ٩٥،٩٦

(٢)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٠٢

(٣)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٠٢

ويقول إديسون: «**إن عوامل التعليم المسيحي في مصر، تزيد قوة على قوتها بمؤسستي جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات..** إن لهاتين الجمعيتين مراكز نشيطة، وخصوصا في القاهرة والإسكندرية.

هذه الفروع تقدم مناسبات مختلفة للألعاب الرياضية.. وتهيئ في المجتمع ألوانا من النشاط تندر في الشرق..وفي هذا اقتراب من المسلمين.»(١)

٧- استخدام الرشوة:

عندما تخيب أساليب المبشرين في العمل بين المسلمين لتنصيرهم، فإنهم يلجأون إلى الرشوة ليفسدوا بها ضمائر الذين يستميلونهم. «وحينما ظهر اليسوعيون للمرة الأولى في شرق الأردن، رشوا نفرا من النصارى الأرثوذكس للانضمام إلى الكنيسة الرومانية. على أن البروتستانت كانوا أشد إيغالا في إفساد الضمائر، فقد اتخذوا سماسرة يجلبون لهم الذين كانوا يرضون أن يبدلوا دينهم،وكانوا يدفعون عن كل رأس عشرة قروش ذهبا»(٢)

الخلاصة:

من المعلوم أن للتبشير وسائل كثيرة يستخدمها في مختلف المجالات التي يعمل فيها من أجل تنصير المسلمين، أو على الأقل إخراجهم من الإسلام. وقد اكتفيت هنا بعرض الوسائل الرئيسية التي يستخدمها التبشير، وأغلبها يتكون من عدد من الوسائل الفرعية التي يطول الحديث فيها.

والآن ونحن نختتم هذا الفصل عن «وسائل التبشير في العالم الإسلامي» فمن الواجب أن نذكر بهذه الوسائل الرئيسية بعد جمعها معا، لتكون واضحة تحت بصر المسلم وسمعه – وهي كالآتي:

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٠١

(٢)المرجع السابق ص ٥٠

- تشويه الإسلام
- تحريف فهم القرآن.
- اعتبار التعليم الإرسالي أقوى الوسائل.
- استخدام الصحافة والطبع على أوسع نطاق.
- مقاومة الأزهر وإضعاف تأثيره.
- إذاعة الدعوات المشبوهة مثل الدعوة إلى التسامح المشبوه، والدعوة إلى الحوار المشبوه.
- الدعوة إلى الشعوبية والقومية.
- العمل المستمر من أجل تمزيق الوحدة الإسلامية.
- إثارة الفتن الداخلية.
- بناء أكبر عدد من الكنائس والاهتمام بمظهرها.
- استخدام العلاج الطبي كوسيلة فعالة.
- اتخاذ الأعمال الاجتماعية ستارا للتبشير.
- استغلال حالات الفقر والحاجة.
- استمالة المسلمين والتحكك بهم.
- التركيز على المرأة المسلمة.
- التقاط أطفال المسلمين بمختلف السبل.
- استدراج المسلمين إلى جمعية الشبان المسيحيين.
- استخدام الرشوة.

obeikandi.com

والآن...

لا أظن أحدا من المسلمين الحريصين على دينهم في حاجة لأن يسأل:

وما العمل لمقاومة التبشير بين المسلمين؟

فلقد تحددت إجابة هذا السؤال – وأمثاله- حين تحددت وسائل التبشير في العالم الإسلامي..

وهي وسائل يستطيع المسلمون مقاومتها تماما، إذا أخلصوا يومهم لله؛ وقد منحهم – سبحانه- الكثير والكثير..

أما إذا قعدوا مستعجزين، ينتظرون آية من السماء، فليعوا القول المأثور:

«إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة»...

وأخيرا، يكفيهم قول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]

****

obeikandl.com

خاتمة

* التبشير بين الماضي والحاضر

* المسلمون في مواجهة الخطر التبشيري

obeikandl.com

obeikandl.com

التبشير بين الماضي والحاضر

يستوقف النظر في دراسة التبشير في العالم الإسلامي، عدد من الملاحظات. إلا أن اثنتين منها جديرتان بالتدبر والاعتبار، لما لهما من دلالات وما تحملانه من معاني، ترتبط بسير الأحداث في العالم الإسلامي، حاضره وماضيه، وفيما يلي عرض موجز لكل من هاتين الملاحظتين.

التبشير قوة محركة عالمية:

لقد لمعت أسماء في مجالات السياسة، وفرضت أسماء في تاريخ العلوم والاكتشافات، ولكنها في الواقع كانت إما أسماء لمبشرين؛ أو لشخصيات تتبنى الفكر التبشيري وتعمل من أجل تنفيذ سياساته. وإذا كانت المشكلة الفلسطينية تعتبر الطعنة الثانية الخطيرة التي تلقاها العالم الإسلامي في القرن العشرين – بعد الطعنة الأولى وهي هدم الخلافة الإسلامية- فإن الفكر المحرك لتنفيذ هذه الطعنة كان – ولا يزال- فكرا تبشيريا.

فقد ذكرت بربارة توخمان في كتابها «التوراة والسيف» عند الحديث عن فكرة نقل فلسطين إلى المذهب الإنجيليكاني «مذهب الدولة في إنجلترا»، فصلا كاملا عن **اللورد شافتسبري «الذي كان يمثل فكرة تنصير فلسطين** ورد اليهود منصرين إليها، أو تنصيرهم بعد ردهم إليها، وإعلان الحماية (البريطانية) عليها. ولقد روج اللورد بالمرستون وزير الخارجية البريطانية لهذه الدعوة برسالة وجهها إلى جريدة التايمز اللندنية، فنشرتها الجريدة في السابع عشر من أغسطس عام ١٨٤٠.

ومن الشخصيات الإنجليزية التي عملت بما فكر به شافتسبري وسعى إليه بالمرستون، وممن اشتهروا ودارت أسماؤهم في السياسة الشرقية والعربية: رئيس الوزارة البريطانية جلادستون، والقائد البريطاني الجنرال جوردون، والمستكشف البريطاني لفنجستون، والممرضة الشهيرة فلورنس نايتنجال»[1]

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة-المكتبة العصرية- بيروت ص ١٨٥.

أما دافيد لفنجستون (١٨١٣ – ١٨٧٣) رحالة بريطانيا الشهير، فلم تكن رحلته المشهورة في تاريخ الاستكشافات الجغرافية إلا عملا تبشيريا. فقد قال رولاندر أوليفر في كتابه «العامل التبشيري في شرق أفريقيا»: «لقد أعد لفنجستون نفسه منذ سنواته الأولى حينما كان يعمل في جمعية التبشير اللندنية، للاضطلاع بمشاكل التبشير الخاصة بأفريقيا الاستوائية..

وبما أنه كان أولا وقبل كل **شيء مبشرا مسيحيا**، فلقد اختار كعضو في هذه الحركة التبشيرية أن يبحث عن نهر تستطيع السفن أن تمخر فيه داخل البلاد»[١]

وحين عقد **مؤتمر أدنبرج التبشيري عام ١٩١٠** كان يضم «١٢٠٠ مندوب بينهم ٥٠٢ من الإنجليز، و٥٠٥ من الأمريكان.

ومن مندوبي التبشير الأمريكيين المستر روزفلت – رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق– لكنه أرسل رساله اعتذار عن عدم تمكنه من الحضور. إلا أن المستر براين استطاع أن يحضر – وهو خطيب أمريكا المشهور وقد رشح نفسه لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة مرارا»[٢]

وقد كان الغرض من ذلك المؤتمر هو «البحث في مسائل العالم الخارج عن النصرانية، والاهتمام بإيجاد وحدة وتضامن بين المبشرين في أعمالهم». وقد كون المؤتمر **ثمان** لجان، كان من أهمها «اللجنة السابعة التي كان **اللورد بلفور** رئيس شرف لها. وقد نظرت هذه اللجنة في المستندات التي وردت إليها من المبشرين عن علاقاتهم بحكومات البلاد الموجودين فيها،

---

(١)التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة-المكتبة العصرية- بيروت ص ٥١

(٢)الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ٤٤

وعما إذا كان يوجد في سبيل التبشير ونحوه موانع وعقبات. وعلى هذا فاللجنة السابعة بحثت حالة التبشير في كل البلاد»[١]

وهكذا ارتبطت بالتبشير تلك الأسماء اللامعة في مجالات السياسة والاستعمار مثل: **بالمرستون – جلادستون – جوردون – روزفلت – بلفور..**

هذا ما كان من رجال العالم البروتستانتي، الإنجلوسكسوني. وما من شك في أن لهم نظير في العالم الكاثوليكي، وخاصة: الفرنسي – الأسباني – البرتغالي، الذي صال وجال كثيرا في مستعمراته التي أطلق عليها ما وراء البحار.

هل يستطيع أحد – بعد ذلك- أن ينكر دور التبشير في تحريك القوى العالمية التي تعمل – دائما- ضد العالم الإسلامي؟!

الاستعمار ومشاعر المسلمين ضد التبشير:

«في عام ١٨٩٩ جمع المبشرون البريطانيون والمبشرون الأمريكيون جهودهم في السودان، واتخذوا مراكز لهم في الخرطوم وأم درمان، **غير أن التبشير بين المسلمين ظل ممنوعا فإن اللورد كتشنر، وكان يومذاك الحاكم العام في مصر والسودان باسم بريطانيا، رفض أن يقوم المبشرون بأعمال في بلاد أهلها مسلمون**، بينما الحكومة البريطانية لا ترغب في عرقلة أعمالها السياسية في المناطق التي كانت قد بسطت عليها نفوذها أو لم تستطع بعد أن تثبت هذا النفوذ..

ثم إن الحكومة الإنجليزية قسمت السودان قسمين: **قسما شمال خط العرض ١٢، عدته قسما إسلاميا لا يجوز السماح فيه للمبشرين بالقيام بأعمالهم علنا. وكذلك أوجبت الحكومة الإنجليزية على المدارس التبشيرية ألا تعلم الدين المسيحي لتلميذ اختار ولى أمره أن يدخله فيها إلا إذا حصلت من الولي على إذن خطي بذلك..**

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية – القاهرة ص ٥١

أما جنوب خط العرض ١٢ فعدته الحكومة الإنجليزية قسما وثنيا خالصا، ومنعت المسلمين من السفر إليه، حتى تتيح للمبشرين المسيحيين أن يعملوا فيه بحرية، ثم كانت هي تقدم لهم جميع المساعدات في سبيل ذلك»[١]

وقد انتقدت اللجنة السابعة – التي انبثقت عن مؤتمر أدنبرج التبشيري- انتقادا شديدا «**الخطة غير المسيحية التي تنتهجها بعض الدول الأوروبية مثل إنجلترا في النيجر والسودان**، وقالت إنها خطة من شأنها ترويج الإسلام والتزام طرقه[٢]

وفي مؤتمر التبشير في لكنو بالهند – الذي عقد عام ١٩١١- تحدث المبشر السويسري فرنر «عن المدرسة التي أسستها إنجلترا في سيراليون بغرب أفريقيا لتعليم أطفال القبائل الإسلامية والوثنية باللغة العربية. وعدم تعليمهم الديانة النصرانية احتفاظا بمبدأها في الحياد الديني.

ثم قال: **ولو اتفق أن المسلمين غضبوا للصور الموجودة في كتب دروس الأشياء، فلا تتأخر إدارة المستعمرات الإنجليزية عن استفتاء علماء الإسلام في الآستانة ومصر الهند، استرضاء لآباء التلاميذ وأقاربهم**»[٣]

كذلك هاجم إنجلترا – وغيرها من الدول- مبشرون آخرون في ذلك المؤتمر بدعوى أنها تعرقل أعمال التبشير، كما في السودان «حتى أن كلية جوردون التي أسستها الأمة البريطانية!. أصبحت مدرسة إسلامية محضة. **والحكومة الإنجليزية في نظر المبشرين ملومة على انتهاجها خطة الحياد وشدها أزر المدارس الإسلامية في سيراليون. كما أن ذوي الأمر من**

---

(١) التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ – الطبعة الرابعة - المكتبة العصرية- بيروت ص ٢٣٧،٢٣٨

(٢) الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ٤٩

(٣) المرجع السابق ص ٦٨

الإنجليز في نيجيريا لا يحسنون معاملة إرساليات التبشير المسيحية، ولا يسمحون لهم بفتح المدارس العصرية بكل حرية..

وأما الحكومة الفرنسية فتسلك خطة الحذر التي تنطوي على الود والإخلاص نحو المبشرين.. وإن تكن تسمح للمبشرين بارتياد الجزائر وتونس بدون تعضيد، ويخشى أن تحظر عليهم التجول في الصحراء والنيجر وأقاليم بحيرة تشاد وداداي.

وقد لام المبشرون الحكومة الروسية لتباين أعمالها، فقد يتفق في بعض الأوقات أنها تروج أعمال المسلمين التي تضر بالمسيحيين التابعين للكنيسة الرسمية الروسية»[١]

وقبل أكثر من سبعين عاما «حاول المبشرون الهولنديون – أيام سيطرة هولندا على أندونيسيا- أن ينصروا الأندونيسيين المسلمين، ولكن الحكومة الاستعمارية الهولندية رفضت ذلك بشدة، فثارت ثائرة المبشرين وهاجموا الحكومة الهولندية في البرلمان الهولندي واتهموها بأنها تحمي الإسلام في أندونيسيا. والحكومة لم تكن تحمي الإسلام، ولكنها تحمي مصالحها في أندونيسيا من أي استفزاز تقترفه حماقة التبشير مع المسلمين في أندونيسيا»[٢]

هذا – وبعد أن نقرر أن صراخ المبشرين ضد الدول الاستعمارية، وادعاءاتهم بأن تلك الدول كانت تعرقل أعمال التبشير في مستعمراتها وتكاد تساعد الإسلام على التقدم والانتشار- كل ذلك لا يعدو أن يكون من باب المبالغات، وأسلوبا من أساليب المزايدات الرخيصة التي يبغون من ورائها إلى زيادة تدعيم الدول الاستعمارية لهم. وإذا كان بعض المبشرين المتهورين قد اقترح خططا لتنصير العالم الإسلامي في مدة ٢٥ عاما، فإن سلوك دول الاستعمار إزاءهم يمكن مقارنته بسلوك الأب أمام ابن متهور، يخشى من اندفاعاته التي قد تجلب الضرر للوالد وولده على السواء.

---

(١)الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة ص ٨١،٨٢

(٢)غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا): أبو هلال الأندونيسي– دار الشروق- جدة ص ٤٦

لكن شيئا واحدا يجدر تسجيله، **وهو أن المسلمين منذ طلع هذا القرن والقرون التي سبقته، كان يحسب لمشاعرهم كل حساب.** لقد كان يحكمهم مستعمرون أجانب، لكنهم فطنوا إلى أن الإسلام حين يغضب فهو أمر عظيم، من أجل ذلك راعوا أحاسيس المسلمين ومشاعرهم الدينية، وقيدوا – قدر ما كان متاحا- أعمال التبشير المسيحي بينهم.

ولكن إذا نظرنا إلى حال المسلمين اليوم، نجد عجبا..

فقد استقلوا بعد استعمار، وصارت أمورهم بأيديهم، وأصبح لهم بين القوى البشرية والعسكرية والاقتصادية مكان، وزاد اتصالهم ببعضهم، وانتظموا في مؤسسات إقليمية ودولية، ويكفي أنهم يمثلون حوالي ٣٠٪ من مجموع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة. و....

ومع ذلك كله، **فإن التبشير المسيحي ينطلق بينهم اليوم بأضعاف قوته أيام كان الاستعمار يكتم أنفاس المسلمين جميعا، إلا قلة قليلة كاليمن ونحوه. ما السبب – إذن- في تردي المسلمين إلى هذا الوضع الخطير؟**

إنه سؤال يلاحق كل مسلم، مهما اختلفت أوضاعه ومسئولياته..

ولعل بعض المسلمين يشاركني الرأي – الذي لا أدعي أنه أفضل الآراء- في أن الإجابة على هذا السؤال، يمكن أن ترد إلى عاملين رئيسيين، هما:

١- **هوان المسلمين على أنفسهم**، ومن ثم هانوا على غيرهم. فقد صاروا غثاء كغثاء السيل، لايدرون من ماضيهم العظيم شيئا، ويكتفون بعيش حاضرهم على أي صورة من الصور، ولو كانت صورة التابع للسيد المتبوع.

٢- **انعدام الوحدة بينهم**، والتمزق إلى كيانات هزيلة، في زمن العمالقة الكبار

ومهما يكن من أمر، فإن حال المسلمين تحكمه في جميع الأحوال والقرون، هذه القاعدة القرآنية الحكيمة العادلة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

المسلمون في مواجهة الخطر التبشيري

ماذا يمكن أن يفعله المسلمون في مواجهتهم لأخطار التبشير؟

نقول – بداءة – إن المسلمين قادرون، بإذن الله، على مواجهة هذا الغزو الصامت، وتقليم أظافره، وتعريته أمام نفسه، وأمام العالم.

إن السبيل لتحقيق ذلك ممكن، وإن كان هناك فرق بين الممكن والميسور.

إن العمل الإسلامي في مواجهة التبشير يحتاج إلى العناصر الرئيسية التي يتطلبها العمل في مثل هذه المجالات وهي: المشروع – والقوى البشرية- والتمويل. وجميعها عناصر موجودة بل ومتوافرة في العالم الإسلامي.

إن المسلمين بأيديهم كتاب واحد، هو القرآن، جاءهم به نبي واحد، هو محمد بن عبد الله.

ولقد أكمل الله لهم دينهم في حياة نبيهم بما أنزل عليه من الكتاب، وما أوتيه من حكمة هي السنة الصحيحة، فلم يتركهم إلا بعد أن استقر فيهم منهج الله، فاستوعبوه نظريا وتطبيقيا، علميا وعمليا. من أجل ذلك لم ينتكسوا في عقيدتهم – بعد رحيل نبيهم- كما انتكس الذين من قبلهم بعد رحيل أنبيائهم. وهم وإن كانوا قد تعرضوا لبعض النوازل والفتن، فإنهم ما لبثوا أن تجاوزوها **وطلعوا على العالم بحضارة حقه: تربط العلم بالدين، والسياسة بالأخلاق، والدنيا بالآخرة، وتدعو الإنسان لتحقيق سعادته في الأولى وتأمينها في الآخرة بالسلوك وفق منهج الله في كل حركاته، وسكناته، بل وخلجات نفسه.**

إن الإسلام ليس حكرا على شعب مسلم دون آخر، ولا على دولة مسلمة دون أخرى. كذلك فإنه ليس ملكا للحكام المسلمين دون المحكومين، وليس قصرا على المحكومين دون حكامهم.

إن الإسلام دين الجميع، ووطن الجميع، والحياة الحقة للجميع..

ومن ثم فإن العمل الإسلامي في كافة المجالات، وخاصة في مواجهة أخطار التبشير، يحتاج إلى كافة الجهود وتنسيقها وتكاملها.

وإذا كانت لدينا شواهد كثيرة تبين – ما سبق ذكره- من أن التبشير اليوم في العالم الإسلامي الذي يحكمه أبناؤه المسلمون، قد صار أقوى عزيمة وأشد خطرا عما كان عليه الحال أيام كان الاستعمار يسيطر على عالم الإسلام لقرون عديدة، فمرد ذلك إلى عدة عوامل منها أن التبشير قد تمكن – في ظل الاستعمار- من توحيد جهوده وتنسيق خططه، حتى إذا ما رحل الاستعمار، استمرت خطط التبشير في التنفيذ، دون أن تتعرض للتعثر والاضطراب.

وإن نظرة على مراحل توحيد أنشطة التبشير لتعطينا الكثير من الدروس والعبر.

كيف اتحدت هيئات التبشير:

لقد كانت بعثات التبشير الكاثوليكية تمارس أعمالها خلال تخطيط مركزي وقيادة صارمة، تتمثل في الكنيسة الرومانية، أما العمل التبشيري في العالم البروتستنتي فقد قام به أفراد متحمسون، ثم عدد من الجماعات الصغيرة التي بدأت تنظم نفسها في هيئات تبشيرية، تنطلق في إرساليات لتعمل خارج أوطانها الأوروبية والأمريكية، داخل إطار الطائفة المسيحية التي تنتمي إليها.

ولما كان لتلك الإرساليات – بطبيعة الحال- ولاء لأوطانها وطوائفها، ولما كانت تلك الطوائف والأوطان تختلف فيما بينها اختلافا قد يصل بها إلى الحروب الملتهبة، فقد انعكس ذلك كله على إرساليات التبشير، وتعرض نتاج عملها – وهو تنصر غير المسيحيين- إلى التراجع أو عدم التقدم.

لهذا تنبهت إرساليات التبشير إلى ضرورة توحيد جهودها، من أجل تحقيق هدفها النهائي وهو جعل العالم كله مسيحيا.

ولقد مرت عمليات تحقيق وحدة العمل التبشيري بثلاث مراحل هي:

عقد مؤتمرات التبشير – ثم إنشاء مجالس التبشير- ثم دمج اتحاد الكنائس باتحاد مجالس التبشير.

ومن المفيد حقا أن نتعرف نحن المسلمون على العناصر الرئيسية في هذه المراحل الثلاث، أو بالأحرى تتبع الخطوط العامة لها.

المرحلة الأولى:

عقد مؤتمرات التبشير:

يمكن القول بأن فاتحة ذلك كان في الهند: عام ١٨٥٥، حيث عقد بكلكتا «**المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت في البنغال**» -وقد حضره ٥٥ مبشرا في ٦ إرساليات. بينهم ٣ قسس هنود. ثم مؤتمر البنجالور عام ١٨٧٩، وقد حضره ١١٨ مبشرا، نوقش فيه لأول مرة إمكانية تأسيس «كنيسة المسيح في الهند».

ثم مؤتمر مدراس عام ١٩٠٠، وحضره ١٦٠ مبشرا اختيروا بعناية من بين ٢٦ إرسالية.

وفي اليابان: عقد أول مؤتمر تبشيري عام ١٨٧٢ حضره ١٧ مبشرا، ثم عقد «**المؤتمر العام للمبشرين البروتستانت**» عام ١٨٨٣ بأوزاكا، ثم عقد نفس المؤتمر في المرة التالية عام ١٩٠٠ بطوكيو، وقد حضره ٤٥٠ مبشرا من ٤٢ إرسالية.

وفي الصين: عقد مؤتمر المبشرين البروتستانت في شنغهاي عام ١٨٧٧، حضره ١٢٦ مبشرا من ٢٠ إرسالية مع عضو صيني دون أن يكون له حق التصويت. ثم كان المؤتمر الثاني عام ١٨٩٠، ثم كان المؤتمر الثالث والكبير عام ١٩٠٧، وقد حضره أكثر من ١٠٠٠ مبشر من ٦٣ إرسالية، وكان هناك ٩ أعضاء صينيين ليس لهم حق التصويت.

وبعد آسيا تأتي أفريقيا، حيث عقد في دولة «اتحاد جنوب أفريقيا» ثلاثة مؤتمرات في أعوام ١٩٠٠، ١٩٠٦، ١٩٠٩

كذلك عقد بالقاهرة مؤتمر تبشيري هام عام ١٩٠٦، وقد سبق الحديث عنه.

وفي أمريكا الجنوبية عقد في المكسيك مؤتمرين في عام ١٨٨٨، ١٨٩٧، ولقد أدت هذه المؤتمرات جميعها إلى تعميق مفهوم الوحدة بين المبشرين.

obeikandl.com

المرحلة الثانية:

إنشاء مجالس التبشير:

لقد بدأت الفكرة في مخيلة من وصف بأنه أعظم مخطط تبشيري ألماني، وهو جوستاف فارنك الذي قدم عام ١٨٨٨ بحثا قرئ في ذلك العام في مؤتمر لندن التبشيري، دعا فيه لتخطيط عقد مؤتمر تبشيري كل ١٠ سنوات، وإلى تشكيل لجنة مركزية، تربط أعمال هذه المؤتمرات. وكان مما قاله:

«لكي يكون للجنة المركزية أساس قوي، فيجب أن تعقد مؤتمرات تبشيرية في كل أمة بروتستنتية تضم كل الجمعيات البروتستنتية التبشيرية فيها وتنتخب مندوبين يمثلونها في اللجنة المركزية»(١)

وفي عام ١٩١٠، عقد مؤتمر أدنبرج التبشيري – وقد سبق الحديث عنه- الذي تمخض عن تشكيل «اللجنة الدائمة للمؤتمر»، والتي اعتبرت بداية عهد جديد للعمل التبشيري، وكانت تحقيقا مبدئيا لفكرة جوستاف فارنك.

ثم أوقفت الحرب العالمية الأولى أعمال المؤتمرات حتى عام ١٩٢١، حيث تكون «**المجلس التبشيري الدولي** I.M.C»، وقد تولى رئاسته الدكتور جون موت الذي اعتبر مهندسا للمؤتمرات التبشيرية، إذ أنه كان قد قام برحلة في الشرق الأقصى استغرقت خمسة أشهر – من نوفمبر ١٩١٢ إلى أبريل ١٩١٣ – عقد فيها مالا يقل عن ٢١ مؤتمرا، تمخضت عن تشكيل ما يسمى «**المجلس المسيحي الوطني** N.C.C» في كل من اليابان، والصين، وكوريا،والهند. لقد أثبتت فكرة تشكيل المجالس المسيحية الوطنية نجاحها في العمل التبشيري، واعتبر مجلس كينيا من أنجح المجالس في شرق أفريقيا.

---

(١) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٥٤٣

ويعتبر مؤتمر مانيلا عام ١٩٤٨ نقطة البدء في دفع الحركة التبشيرية وإحكام تنظيمها، فقد ضم من يطلق عليهم «**القادة**» المسيحيون في شرق آسيا – من اليابان إلى الباكستان- الذين التقوا لأول مرة معا، بعد أن كانت لقاءاتهم تتم قبل ذلك بالمبشرين من أوروبا وأمريكا. ولقد تمخض هذا اللقاء عن إنشاء «**سكرتارية شرق آسيا**» لتكون وحدة اتصال بين الكنائس والهيئات التبشيرية.

ونتيجة لنشاطها فقد عقد «**المؤتمر المسيحي لشرق آسيا**» عام ١٩٥٧ في سومطرة «بأندونيسيا»، ثم مؤتمر عام ١٩٥٩ في كوالالمبور «بماليزيا»، فزاد ذلك في ربط الكنائس بالهيئات التبشيرية.

وبعد آسيا ننتقل إلى أفريقيا، حيث عقد «**المؤتمر المسيحي لكل أفريقيا**» عام ١٩٥٨ في نيجيريا، وقد حضره مندوبون من كل البلاد الأفريقية، عدا المستعمرات الأسبانية، وتمخض عن تشكيل «لجنة دائمة» تعد للمؤتمر الثاني الذي عقد عام ١٩٦٣ في كينيا.

وفي أمريكا الجنوبية عقد مؤتمر عام ١٩٦١ في ليما عاصمة بيرو.

المرحلة الثالثة:

اتحاد الكنائس مع مجالس التبشير:

شهد عام ١٩٣٧ عقد مؤتمرين في كل أوكسفورد وأدنبرج، قدمت فيهما اقتراحات بتشكيل مجلس عالمي للكنائس، وقبلت من حيث المبدأ، ثم أرسلت إلى «المجلس التبشيري الدولي».

لقد شهدت الفترة ما بين ١٩٤٦-١٩٦١ تعاونا بين الهيئتين الكبيرتين: الكنائس، والإرساليات. فقد شهد عام ١٩٤٦ مولد «**لجنة الكنائس للشئون الدولية**»، تبعه تشكيل «**لجنة اتصال**».

وفي نيودلهي عام ١٩٦١، اتحد المجلسان: مجلس الكنائس والمجلس التبشيري في جهاز ضخم هو «**مجلس الكنائس العالمي** .W.C.C» ولأول مرة في تاريخ العالم المسيحي، تعلن الكنائس: الأرثوذكسية والرومانية الكاثوليكية، والإنجليكانية، والبروتستنتينية، أنها كنائس مسئولة عن تبشير العالم بالإنجيل.

إن رجال التبشير يعتبرون ما حدث في نيودلهي عام ١٩٦١ بمثابة ثورة كبيرة في الروح الدينية للكنائس الكبرى وفي تنظيم قواها البشرية، وتوزيع مواردها المالية. وهو ما دفع ستيفن نيل لأن يقول: «إن أولئك الذين يعيشون ليروا مطلع **القرن الحادي والعشرين** قد ينظرون وراءهم ليسجلوا بكل شكر أن عام ١٩٦١ حدد البداية لقرن عظيم آخر في تاريخ الكنيسة»(١)

والآن – نعيد طرح السؤال مرة أخرى فنقول- ماذا يمكن للمسلمين أن يفعلوه؟

إن الحديث عن مقاومة التبشير، يرتبط بداهة بالحديث عن الدعوة الإسلامية وفاعليتها، فحين تخبو تلك الدعوة أو تضعف، يتسرب التبشير من مختلف المنافذ إلى العالم الإسلامي ليتمكن منه، كما هو حادث الآن.

إن مجهودات التبشير في سبيل توحيد هيئاته وتكامل مشروعاته – التي عرضنا شيئا منها- لكفيلة بأن تفتح أعين المسلمين على أيسر السبل لمقاومته.

ولما كان «الكتاب» لا يصلح مكانا مناسبا لعرض خطة متكاملة لمواجهة الخطر التبشيري، فنكتفي الآن بعرض تصور مبدئي لإجراءات قد تكون أساسا صالحا لبلوغ الهدف. ويتلخص ذلك من الآتي:

١ - في كل دولة إسلامية أو شعب إسلامي، تجد جماعات وهيئات إسلامية، مختلفة الأنشطة، متنوعة المجالات والاهتمامات. والمقترح أن تنتظم جميعها في إطار واحد، ليكن اسمه «**المجلس الإسلامي الوطني**» لتلك الدولة أو هذا الشعب. فمثلا بالنسبة لدولة نيجيريا المسلمة يسمى «المجلس الإسلامي النيجيري»، وبالنسبة لمسلمي الفلبين يسمى «المجلس الإسلامي الفليبيني» وهكذا.

---

(1) STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964 ص ٥٥٨

٢- يعقد هذا «**المجلس الإسلامي الوطني**» مؤتمرا سنويا، ليكن في شهر شعبان من كل عام، يدرس موضوعا واحدا هو: **الإسلام في مواجهة التبشير**. ثم ينتخب مندوبيه في المستوى التنظيمي الأعلى.

٣- يعقد مؤتمر سنوي على مستوى العالم الإسلامي، ليكن في شهر ذي الحجة عقب فريضة الحج، يضم ممثلين عن كل المجالس الإسلامية الوطنية،وذلك تحت اسم «**الاتحاد الدولي للمجالس الإسلامية**».

٤- يدرس هذا الاتحاد الدولي في مؤتمره السنوي موضوعين اثنين:

(١) **تدعيم وحدة المسلمين.** (ب) **الإسلام في مواجهة التبشير.**

٥- سوف يتمخض المؤتمر الأول للاتحاد الدولي للمجالس الإسلامية عن خطة متكاملة لمواجهة التبشير، تقوم بتنفيذها الحكومات الإسلامية، وذلك في البنود التي تختص بها، ثم الشعوب الإسلامية ممثلة في مجالسها الإسلامية الوطنية، وذلك في بقية البنود.

ومن أجل إنجاح العمل الإسلامي في هذا المجال، يجب:

١ـ **أن يقوم أساسا** على **الجهود الشعبية**، التي تعضدها بعد ذلك الجهود الحكومية.

٢ـ **أن يبتعد عن متاهات السياسة والاقتصاد ونظم الحكم**، وكل ما من شأنه أن يوجد الفرقة ويبعثر الجهود، ويمكن التبشير من الانطلاق في تنفيذ مشاريعه وخططه وهو قرير العين.

هذا – ولما كانت السنوات العشر الأخيرة قد شهدت عددا من المؤتمرات الإسلامية الدولية، من أجل تنشيط الدعوة الإسلامية ومواجهة التحديات والأخطار التي تتهدد الإسلام، ولما كانت القوى المعادية للإسلام ترصد هذه المؤتمرات وتدرس توصياتها بعناية فائقة أكثر مما يفعله المسلمون أنفسهم، صار لزاما علينا أن نعرض بعض هذه التوصيات التي تدخل في إطار مواجهة الخطر التبشيري، والتي يفترض أن حكومات الدول الإسلامية تقوم بتنفيذها الآن

من توصيات المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة:

عقد هذا المؤتمر بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الفترة ٢٤-٢٩ صفر ١٣٩٧ هـ، التي توافق ١٢-١٧ فبراير ١٩٧٧م وقد حضره أكثر من مائتي عضو يمثلون المسلمين في أكثر من ٧٠ دولة، إسلامية وغير إسلامية، فجاء من هذه الدول غير الإسلامية مندوبون عن مسلمي: بريطانيا – فرنسا – ألمانيا الغربية – بلجيكا – هولندا – الدنمرك – إيطاليا – يوغلاسلافيا – اليونان – أسبانيا – البرتغال – الولايات المتحدة – كندا – الأرجنتين – شيلي – اليابان – أستراليا، وغيرهم.

وقد اتخذ المؤتمر عددا كبيرا من التوصيات، أعرض منها الآتي بشيء من الاختصار:

(أ) في مجال مناهج الدعوة الإسلامية وتطوير أدائها:

١- تنقية مناهج التربية والتعليم، ووضعها على أسس إسلامية، والعناية بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي.

٢- توجيه العناية الخاصة بالشباب المسلم، وتوفير كافة الأنشطة الثقافية والرياضية والاجتماعية، وإقامة المعسكرات التي تنميه داخل الإطار الإسلامي.

٣- الاهتمام الخاص بالمرأة، من حيث التربية الدينية والثقافة الإسلامية.

٤- الاتصال بالجهات المعنية لإنشاء مساجد في كل الجامعات والمعاهد والمصانع وسائر المؤسسات.

٥- العناية بالتوعية الدينية في القوات المسلحة.

٦- تعبئة أشرطة علمية، تختار بعناية، لنشر العقيدة الصحيحة والتعاليم الإسلامية بين الشعوب خصوصا في أفريقيا، باللغات المحلية وبعض اللغات العالمية الشائعة.

٧- تشجيع الجامعيين المتخصصين في الدعوة بالمخصصات المادية المناسبة.

٨- حث الحكومات الإسلامية على تخصيص مبالغ في ميزانياتها لنشر الدعوة الإسلامية

obeikandi.com

(ب) في مجال إعداد الدعاة:

١- العناية بالإعداد العلمي والثقافي للداعية

٢- العناية بالجانب الخلقي للداعية

٣- إنشاء كليات للدعوة في جهات متعددة من العالم..

٤- التنسيق بين كليات الدعوة القائمة حاليا.

٥- إدخال مادة الثقافة الإسلامية في جميع الكليات الجامعية في البلاد الإسلامية.

٦- تنظيم دورات تدريبية لمجموعات من الدعاة

٧- تنظيم لقاءات إسلامية للدعاة، للتعارف وتبادل الخبرات

٨- دعم المراكز والهيئات الإسلامية الموجودة حاليا، مع إنشاء مراكز جديدة

٩- الاهتمام بإعداد الداعيات من النساء المسلمات

(جـ) في مجال وسائل الإعلام:

١- أن تهتم أجهزة الإعلام المختلفة، إلى جانب استقائها من المعين الإسلامي، برد الشبهات والدعاوى الباطلة الموجهة ضد الإسلام.

٢- أن تنشأ في البلاد الإسلامية كليات للإعلام الإسلامي

٣- دعم الصالح من الصحافة الإسلامية القائمة، وكذلك وكالات الأنباء الإسلامية والإذاعات الإسلامية المتخصصة، وإنشاء إذاعات عالمية إسلامية.

٤- إصدار صحف دورية متخصصة في كل دولة إسلامية.

٥- العمل على رعاية الإعلام الإسلامي المتخصص للناشئة، نشرا وصحافة، إذاعيا وتلفزيونيا، رعاية إسلامية كاملة.

٦- إنشاء نادي «القلم الإسلامي» يضم حاملي الأقلام الإسلامية.

obeikandl.com

٧- إنشاء اتحاد عام للصحافة الإسلامية.

٨- مواجهة خطر الكنائس والمدارس التبشيرية.

٩- نظرا للتعتيم الإعلامي على أخبار العالم الإسلامي، فإن المؤتمر يرى أن تقوم «رابطة العالم الإسلامي» بإنشاء مركز إعلامي، لرصد الأخبار والمعلومات وتوزيعها على المنظمات والجمعيات الإسلامية.

(د) في مجال الدعوات والاتجاهات المضادة للإسلام:

١- الدعوة إلى تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي الذي جاء به الإسلام، عملا بشرعه، وإغلاقا للأبواب أمام الدعوات المادية المضادة للإسلام.

٢- توعية المسلمين لإخراجهم من موقف الضعف والمدافعة إلى موقف القوة والمجابهة

٣- مناشدة الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي بجدة للاتصال بالدول الأعضاء في المؤتمر والأعضاء في هيئة الأمم المتحدة لكي يعملوا على تمكين المسلمين الذين يعيشون تحت ظل حكم شيوعي من ممارسة شعائر دينهم وإطلاق الحرية الدينية لهم تنفيذا لما جاء في «اتفاقية هلسنكي» عام ١٩٧٦. وكذلك العمل على تمكين المسلمين الذين يعيشون في ظل حكم آخر غير إسلامي من ذلك

٤- تحذير المسلمين من الدعوة المشبوهة التي روجها أعداء الإسلام لتحديد النسل، واستنكار ما تقوم به بعض الحكومات من إجبار المسلمين على تحديد نسلهم بطريق التعقيم الإجباري

٥- العناية باللغة العربية والعمل على نشرها على أوسع نطاق بين المسلمين، والتحذير من الدعوات المشبوهة لترويج العامية، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية.

٦- يوصى المؤتمر الحكومة السعودية بتبني مشروع دائرة معارف إسلامية، على الأساليب العلمية السليمة، لتكون مرجعا إسلاميا أصيلا، مع العناية ببيان أخطاء دائرة

المعارف الإسلامية التي وضعها المستشرقون والتي هي حافلة بالأغلاط والمغالطات العلمية، وما فيها من افتراءات على الإسلام وتاريخه وحضارته.

٧- توصية القائمين على المدارس الإسلامية في أفريقيا وغيرها، بإنشاء أقسام مهنية، يتدرب فيها الطلاب على بعض الحرف والصناعات التي تمكنهم من كسب رزقهم مع انشغالهم بالدعوة إلى الله بعد التخرج.

٨- يذكر المؤتمر بما انتهى إليه المؤتمر الإسلامي المسيحي، الذي دعا إليه مجلس الكنائس العالمي، والذي عقد في جنيف في يونيه ١٩٧٦، والذي اعترف مبديا أسفه الشديد لأن الإرساليات التبشيرية المسيحية في ديار المسلمين قد تسببت في إفساد الروابط بين المسلمين والمسيحيين، كما اعترف بأن تلك الإرساليات كان طابع نشاطاتها في خدمة الدول الأوروبية المستعمرة، وتستخدم التعليم وسيلة لإفساد عقائد المسلمين – والذي تعهد فيه الجانب المسيحي في المؤتمر بإيقاف جميع الخدمات التعليمية والصحية التي تستخدم لتنصير المسلمين.

ولهذا يوصى المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة إلى كافة الدول الإسلامية بالعمل على تنفيذ القرار الذي تعهد به المؤتمر الإسلامي المسيحي، وذلك بحظر نشاط المؤسسات التبشيرية التعليمية والاجتماعية، وإحلال الهيئات الإسلامية العاملة فيها محلها، مع الحذر من السماح بإنشاء مؤسسات مشبوهة تحت أي ستار.

٩- تحذير المسلمين من النشاطات المعادية للإسلام، التي تتقنع في مؤتمرات بأسماء مختلفة، مثل مؤتمر العلوم الإنسانية، ونوادي الصداقة، والمؤسسات الثقافية والنوادي الاجتماعية المشبوهة، كالروتاري، والسلامين.

١٠- تشجيع الجمعيات الإسلامية التي تعني بتربية ناشئة المسلمين ودعوتها إلى تنسيق جهودها لصد التيارات المعادية للإسلام.

١١- مطالبة الحكومات الإسلامية بأن تسعى لدى الدول التي لم تعترف بالإسلام دينا بأن تعترف به لتأمين حقوق المسلمين المقيمين بها.

وينوه المؤتمر بموقف بلجيكا في هذا الشأن.

١٢- استنكار ما يجري في بعض الدول من تغيير أسماء المسلمين إجباريا أو حملهم على ذلك بأساليب ملتوية.

١٣- إنشاء اتحاد للهيئات الإسلامية في كل دولة، ينظم جهودها ويخطط لها، وإعانته بالإمكانات المادية اللازمة، تمهيدا لإقامة اتحاد إسلامي أوسع.

١٤- التطبيق العملي لمبدأ التناصر بالإسلام، وذلك:

(أ) بمعاونة المسلمين المخلصين على أن يتولوا مراكز التوجيه.

(ب) وتجميع القوى الإسلامية المبعثرة وتوحيد اتجاهاتها.

١٥- حث الجامعات الإسلامية على تتبع افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليهم.

(هـ) توصيات عامة:

١- إطلاق حرية العمل للجماعات الإسلامية لسد الفراغ الملموس في بلاد العرب والمسلمين، وهو فراغ تعمل على ملئه الحركات الهدامة، المؤيدة من أعداء الإسلام

٢- ينوه المؤتمر بالجهود التي بذلت لتحقيق التضامن الإسلامي في ميادين العلم والتكنولوجيا، ويوصى بمتابعة إقامة المؤتمرات للخبراء والمهندسين والفنيين المسلمين في كافة التخصصات، لتبادل المعلومات والاستفادة من الخبرات.

٣- التحري عند تقديم المساعدات المالية والمنح، والعمل على تنظيمها وتوفير الضمانات ليستفيد منها المسلمون المحتاجون إليها.

من توصيات مؤتمر الإعلام الإسلامي العالمي الأول:

عقد هذا المؤتمر في جاكرتا عاصمة أندونيسيا في الفترة ١-٣ سبتمبر ١٩٨٠، وبلغ عدد الحاضرين نحو ٥٠٠ مندوب يمثلون مختلف الدول والشعوب الإسلامية. وقد اتخذ عدة توصيات منها:

obeikandl.com

١- إنشاء مؤسسة إعلامية إسلامية غير حكومية، تتعهد الدول والمنظمات الإسلامية باحترام حريتها واستقلالها.

٢- إنشاء مؤسسة لإنتاج الوسائل والأدوات الإعلانية، المقروءة والمسموعة والمرئية

٣- التزام كل إذاعة إسلامية بشراء وإذاعة المسلسلات الإسلامية التي تنتجها غيرها من الإذاعات.

٤- التعاون مع وسائل الإعلام الإسلامية الموجودة في أوروبا وأمريكا، لدفعها وتنشيطها في الاتجاه الصحيح،ودعم استمرارها في خدمة مسلمي هذه البلاد.

٥- إنتاج رسالة إخبارية أسبوعية عن العالم الإسلامي، يمكن توزيعها بواسطة الأقمار الصناعية، لتتمكن المحطات الإسلامية من استقبالها بشكل منتظم.

٦- العناية ببرامج وكتب ووسائل الإعلام للأطفال.

٧- إنشاء شركة مساهمة عالمية إسلامية مستقلة للتوزيع.

٨- العمل على إنتاج ما يخدم الدين الإسلامي وقضاياه من الأفلام السينمائية والتليفزيون والأشرطة الإذاعية والنشرات وكتب الجيب، التي تشرح وجهة النظر الإسلامية في الموضوعات والقضايا الهامة بشتى اللغات.

أما بعد...

فيكفينا هذا القدر الهائل من التوصيات والمقترحات، التي لو دخلت مرحلة التنفيذ العملي، لكانت كفيلة بمواجهة الخطر التبشيري ورده على أعقابه، إن طاقات المسلمين لتتسع لتنفيذ هذا العمل الإسلامي على خير وجه، وإن التاريخ خير شاهد على أن المسلم حين يستشعر الخطر في دينه، فإنه يتحول إلى شيء عظيم..

إن المسلمين يدركون تماما قول الحق لهم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[الصف: ٢، ٣].

وهم يدركون تماما تعليم رسول الله إليهم، في جوامع كلمه:

«**الإيمان: ما وقر في القلب، وصدقه العمل**».

ولقد شهدت الأعوام الأخيرة كثيرا من الأوروبيين والأمريكيين يقبلون على الإسلام ويقبلونه، بعد أن اقتنعت به عقولهم، وشفيت به صدورهم، واطمأنت به قلوبهم.

والظاهرة الغالبة في هؤلاء – الذين عاشوا غرباء عن الإسلام- أنهم بعد إسلامهم يتحولون إلى دعاة مخلصين من أجله، أفضل منا نحن المسلمين بالوراثة مرات ومرات.

إن في القرآن بشير للإسلام، ونذير للمسلمين المستضعفين، كحالنا اليوم.. فقد جاءت آخر آية في سورة محمد، تقول: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾[محمد: ٣٨].

فهل نتولى نحن المسلمون، كما تولت أقوام من قبل حين بدلت نعمة الله كفرا، فذهبت غير مأسوف عليها في الدنيا والآخرة. وكفى به هوانا أن تعز عليهم كلمة المؤاساة، إذ ما كان من رسولهم إلا أن وقف ببقاياهم بعد أن أصبحوا حصيدا خامدين، وقال:﴿ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾[الأعراف:٩٣]

أم نرتفع نحن المسلمون إلى مستوى الأحداث والمخاطر التي تحيط بنا وتفرض علينا، فنواجهها بما تتطلبه المواقف من عظيم الإيمان وصالح الأعمال، وعندئذ نطمع أن يتحقق فينا قول الحق:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]

وكلنا يعلم يقينا أن الأماني لن تجدي شيئا، ما لم يسبقها العمل..

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة : ١٠٥].

❊❊❊❊

قائمة المراجع الرئيسية

١- تاريخ الكنيسة: يوسابيوس القيصري – ترجمة القمص مرقس داود – مكتبة المحبة- القاهرة

٢- تاريخ الحروب الصليبية: ستيفن رنسيمان – ترجمة الدكتور السيد العريني- دار الثقافة- بيروت.

٣- الرب والله وجوجو (ديـان الأ في أفريقيا المعاصرة): جاك مندلسون – ترجمة إبراهيم أسعد- دار المعارف- القاهرة.

٤- ديانة مصر القديمة: أدولف إرمان – ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، والدكتور محمد شكري – مكتبة البابي الحلبي- القاهرة

٥- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: موريس بوكاي – دار المعارف- القاهرة

٦- المسيح في مصادر العقائد المسيحية: أحمد عبد الوهاب – مكتبة وهبة- القاهرة

٧- النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام: أحمد عبد الوهاب – مكتبة وهبة- القاهرة

٨- طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون: أحمد عبد الوهاب – مكتبة وهبة- القاهرة.

٩- التبشير والاستعمار: الدكتور مصطفى خالدي، والدكتور عمر فروخ –الطبعة الرابعة- المكتبة العصرية- بيروت.

١٠- الغارة على العالم الإسلامي: ل. شاتليه – ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي – المطبعة السلفية ومكتبتها- القاهرة.

١١- غارة تبشيرية جديدة (على أندونيسيا): أبو هلال الأندونيسي– دار الشروق- جدة.

١٢- حقائق عن التبشير: عماد شرف – المختار الإسلامي- القاهرة.

obeikandl.com

13- F.c Grant: The Gospels, Faber and Faber, London, 1957

14- D.E Ninehem: Saint Mark, penguin Books, London 1963

15- J.C Fenton: Saint Mattew, penguin Books, London 1963

16- E.M Blaiklock: Acts, inter-varsity press, London, 1974

17- Adolf Harnack: History of Dogma, constable and company, London, 1961

18- A.M. Hunter: paul and his predecessors, scm press, London.1961

19- William Barclay: the mind of st. paul, Fontana books, London, 1965

20- C.h Dodd: the meaning of paul for today, Fontana books, London, 1964

21- E.E Kellet: A short history of religions pen guin books, London, 1962

22- Michael Grant: THE WORLD OF ROME, THE NEW AMERICAN LIBRARY, NEW YORK, 1961

23- E.GIBBON: THE DECLINE AND FALL OF THE ROMAN EMPIRE, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1960

24- H.A. FISHER: A HISTORY OF EUROPE, THE FONTANA LIBRARY, LONDON, 1964

25- STEPHEN NEIL: A HISTORY OF CHRISTIAN MISSIONS, PENGUIN BOOKS, LONDON, 1964

26- LESLIE LYALL: MISSIONARY OPPORTUNITY TODAY, INTER-VARSITY FELLOWSHIP, LONDON, 1963

obeikandi.com

27- LIN YUTANG: WISDOM OF CHINA, THE NEW ENGLISH LIBRARY, LONDON, 1963

28- ENCYCLOPEDLA AMERICANA 1959

29- ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA 1960

30- LESLIE LYALL: MISSIONARY OPPORTUNITY TODAY, INTER-VARSITY FELLOWSHIP, LONDON, 1963

obeikandl.com